إهداء

إلى ابني هشام..

كلمة أحملها لك ولجيلك

obeikandl.com

obeikandl.com

مقدمة الطبعة الثالثة

تصدر الطبعة الثالثة لهذا الكتاب بعد مرور واحد وثلاثين عاما على صدور الطبعة الأولى شهدت مصر والعالم العربى خلال هذه الحقبة العديد من التحولات والتغيرات التى شملت مجمل الواقع المجتمعى سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا.

- إذ جرت مياه كثيرة فى النهر المصرى والعربى والدولى واتسمت هذه التحولات بالنكوص والتراجع فى القضايا المصيرية التى يشغل صدارتها الصراع العربى الإسرائيلى وفى قلبها الصراع الفلسطينى الصهيونى وإذا كانت الطبعة الأولى قد صدرت عقب التحول التاريخى فى الموقف الرسمى المصرى من الصراع العربى - الإسرائيلى الذى بدأ بزيارة السادات للقدس عام ١٩٧٧ ثم توقيع اتفاقية الصلح مع إسرائيل المعروفه باسم كامب ديفيد عام ١٩٧٨ فإن الطبعة الثالثة تصدر بعد توقيع اتفاق أوسلو عام ١٩٩٣ بين السلطة الفلسطينة واسرائيل والتداعيات السلبية التى أعقبت هذا الاتفاق وكان الثمن فادحا بالنسبة للشعب الفلسطينى والقضية الفلسطينية. إذ أهدر التضحيات الباهظة التى قدمها هذا الشعب المناضل عبر مايزيد عن ستين عاما دفاعا عن حقوقه الوطنية المشروعة وكانت إسرائيل هى الفائز الأكبر فقد جنت ثمار إخراج مصر من الصراع بتوقيع اتفاقيه الصلح وماتلاها من تطبيع مصرى إسرائيلى لايزال الشعب المصرى يجنى حصاده المر ويواصل مقاومته بكافة السبل ثم توالت التنازلات العربية بعد فرض استراتيجيتها التى تستهدف اقتلاع الشعب الفلسطينى من أرضه والاستمرار فى اغتصاب حقوقه الوطنية فى ظل مناخ دولى وعربى متواطئ

وعاجز عن إحقاق الحق ونصرة أصحابه وفى ظل مساندة أمريكية - أوروبية غير مشروطة تمادت اسرائيل فى تنفيذ مخططاتها التوسعية وآساليبها القمعية وجرائمها ضد الشعب الفلسطينى. كما واصلت إسرائيل سياساتها الدعائية من خلال حملات إعلامية وسياسية محكمة ومدروسة استهدفت استقطاب الرأى العام العالمى واعتمدت على ضعف الذاكرة الإنسانية لدى قطاعات كبيره من البشر علاوة على بتزاز الإحساس بالذنب لدى الأوروبيين بسبب مايسمى بالهولوكست واستعانت بكافة أساليب التحايل والكذب والمراوغة والخداع وهى أسلحه توارثتها منذ المؤتمر الصهيونى لأول فى بارل ١٨٩٧ وأجادت إسرائيل استخدامها وتناست المأثورة الشهيرة التى تقول (إنك قد تستطيع أن تخدع بعض الناس لبعض الوقت ولكنك لن تستطيع أن تخدع كل الناس كل الوقت).

وإذا كنا حاليا نشهد إحى حلقات تطبيق استراتيجية الخداع الصهيونى وادعائها المزعوم بأنها ترغب فى العيش فى سلام خلافا لحقيقتها التى قامت على الاغتصاب والخداع إلا أن جرائمها الوحشية ضد الوطن الفلسطينى شعبا وأرضا والتى سجلتها الهيئات الدولية خصوصا تقرير جولدستون الصادر عام ٢٠٠٩ الذى رصد بموضوعية وقائع العدوان الصهيونى على غزة كذلك أسهم هجومها الشرس على قافله الحرية التى ضمت العديد من ذوى الضمائر الذين جاءوا من جميع أنحاء العالم لمساعدة أهالى غزة وفك الحصر عن المدينة الأسيرة.

وسقط العديد من الشهداء الأتراك وغيرهم كل ذلك أسقط قناع الخداع عن إسرائيل وكشف عن الوجه القبيح الذى يجسد ذروة الشر والعنصرية والإحساس بالفزع وعدم الأمان.

ورغم نجاح إسرائيل فى استثمار الهولوكوست وتتويج جهودها فى هذا المضمار بإصدار بعض الحكومات الأوروبية قانونا يجرم معاداة السامية ومحاولاتها الدؤوبة لتوسيع نطاق هذا القانون وفرضه على جميع الأفواه

التى تجرؤ على توجيه النقد لانتهاكاتها الإجرامية ضد الشعب الفلسطينى إلا أنها تتجاهل عن عمد حقيقتين أساسيتين تتعلق أولاهما بأن معظم اليهود المهاجرين من أوروبا والذين يشكلون العمود الفقرى للكيان الصهيونى لاينتمون إلى الجنس السامى بل إن العرب والفلسطينيين ضحايا الصهيونية هم الساميون الحقيقيون.

والحقيقة الثانية تتعلق بروح التسامح والاحتواء التى شملت جميع اليهود الذين عاشوا وأنتجوا وازدهروا فى المجتمعات العربية فى مناخ تسوده الثقة والمودة مما سمح لهم بالمشاركة فى كافة مجالات الحياة العربية وكان منهم الوزراء والسفراء والمناضلون فى صفوف الحركة الوطنية وأصدروا الصحف وكونوا الثروات واحتكروا المراكز الاقتصادية وأعطى المجتمع المصرى نموذجا ساطعا يشهد به تاريخ اليهود فى مصر ولكننا ندفع اليوم الثمن ثمن للجريمة التى ارتكبتها أوروبا بترحيل المشكلة اليهودية إلى العالم العربى واختيار فلسطين تحت دعاوى توراتية كى تصبح بؤرة دامية لهذا الصراع الوجودى.

تصدر الطبعة الثالثه لهذا الكتاب تلبية لمطالب الأجيال الجديدة فى مصر والعالم العربى واستجابة لحقهم فى المعرفة ذلك السلاح الوحيد الذى سوف يمكنهم من معرفة الأعداء التاريخيين والمستمرين للوطن العربى بكافة أجياله وأعنى بهم الحركة الصهيونية والموالين لها والمروجين لها ولأطماعها التوسعية.

ومره أخرى أكرر إهدائى هذا الكتاب لأحفادى أحمد وعمر هشام ومجايليهم أملا فى أن يواصلوا مسيرة النضال ضد الصهيونية بامتلاك الوعى والقدرة على الفعل.

عواطف عبد الرحمن

البحر الأعظم يوليو ٢٠١٠

obeikandi.com

مقدمة الطبعة الثانية

تصدر الطبعة الثانية بعد مرور ٢٣ عاماً على صدور الطبعة الأولى جرت خلالها مياه كثيرة فى نهر الوطن مصرياً وعربياً ودولياً ولهذا الكتاب قصة تستحق أن تروى للأجيال الجديدة التى ستتحمل مسئولية التصدى والمواجهة للخطر الصهيونى وأطماعه التوسعية فى مصر والعالم العربى.

ولعل المغزى الأساسى لهذه القصة أنها تمثل بأحداثها ودلالاتها تجسيداً حيّاً لعنف وشراسة الأساليب التى تتبعها الحركة الصهيونية فى مواجهة خصومها من العرب واليهود والأوروبيين على حد سواء أولئك الذين يتبنون اتجاهات فكرية وسياسية مختلفة أو ينتمون إلى أوطان متباينة أو يعتنقون أدياناً سماوية أو عقائد وضعية ولكن يجمعهم عدة أمور مشتركة تتمثل فى يقظة الضمير الإنسانى وامتلاك الأدوات المعرفية التى تمكنهم من السعى للكشف عن الحقيقة علاوة على الجرأة العقلية والوجدانية التى تدفعهم إلى إعلاء صوت الحق متجاوزين لحظات الضعف البشرى والخوف من المخاطر التى قد تحاصرهم وتهدد أمنهم ومصالحهم واستقرارهم كمواطنين وباحثين ملتزمين.

وتعود قصة هذا الكتاب إلى عام ١٩٧٩ عندما شاركت مع فريق من المثقفين المصريين المعارضين لاتفاقية كامب ديفيد للصلح مع إسرائيل فى تشكيل لجنة الدفاع عن الثقافة الوطنية ضد الغزو الصهيونى والإمبريالى واستقر الرأى على ضرورة إصدار هذه الدراسة التى كنت قد جمعت مادتها العلمية فى إطار بحثى للحصول على الدكتوراه عن «اتجاهات الصحافة المصرية إزاء القضية الفلسطينية من «١٩١٧ ـ ١٩٣٦» وكنت قد

انتهيت أثناء اطلاعى على الصحف المصرية للكشف عن مواقفها إزاء الصراع الصهيونى ـ الفلسطينى من وجود عدد كبير من الصحف اليهودية والصهيونية التى تروج للوطن القومى اليهودى فى فلسطين كانت تصدر فى مصر خلال تلك الحقبة «العشرينيات ـ الثلاثينيات ـ الأربعينيات».

حينذاك فاتحت أستاذى الراحل الدكتور محمد أنيس مؤسس مدرسة التاريخ الحديث والمعاصر والذى أشرف على رسالتى للدكتوراه فى إمكانية القيام بدراسة مستقلة عن الصحافة الصهيونية فى مصر فأبدى حماساً غير مسبوق ونصحنى بضرورة إعدادها بعد الانتهاء من رسالة الدكتوراه وذلك لإبراز الدور الخطير الذى قامت به هذه الصحف للترويج للأهداف الصهيونية واستخدام مصر كمركز للدعاية الصهيونية فى المشرق العربى منذ بدايات القرن العشرين وحتى قيام الدولة الصهيونية فى فلسطين.

لم أجد داراً للنشر توافق على نشر هذه الدراسة سوى دار الثقافة الجديدة حيث تحمس صاحبها الصديق المناضل محمد يوسف الجندى لنشر الدراسة شريطة أن أساهم فى نفقات الطباعة ولم أكن أملكها.

وتدخلت أمى السيدة بهية فهمى أبو زيد التى تعلمت على يديها تاريخ نكبة ضياع الوطن الفلسطينى منذ عام ١٩٤٨ وقد سارعت بإعطائى سواراً ذهبيّاً قديماً قمت ببيعه بـ ١١٨ جنيهاً وذهبت إلى محمد الجندى الذى آخذ مائة جنيه فقط وأنفقت باقى المبلغ احتفالاً بهذه المناسبة فى أمسية ثقافية ضمت الأصدقاء بمقهى الحسين.

وفى ذلك الوقت وقبل طبع الكتاب زارتنى فى مكتبى الدكتورة سهام عبدالرازق العشرى وكانت تعد رسالة الماجستير عن صحافة اليهود فى مصر تحت إشراف أستاذنا الراحل د. خليل صابات وأعارتنى مشكورة نسخة من رسالتها وقمت بالاطلاع عليها فوجدتها تركز على الصحف

التى أصدرها اليهود المصريون دون إبراز الدور الذى قامت به الحركة الصهيونية فى تسخير هذه الصحف لخدمة أغراضها وقد حرصت على أن أستكمل بعض النقاط المحدودة فى بحثى من المعلومات التاريخية الواردة فى دراستها وآشرت إليها فى هوامش دراستى كما تقضى التقاليد العلمية. وقد بلغت خمس إشارات فى الفصول الأول والثانى والثالث عدا الإشارة الكاملة لرسالتها فى قائمة المراجع.

ثم صدر الكتاب وكنت قد اتفقت مع الناشر على تخفيض ثمنه إلى أقصى حد ممكن كى يتمكن الشباب من شرائه والاطلاع عليه وكان يباع بجنيه ونصف. وبدأت تتوالى ردود الفعل من الزملاء والطلاب وجماعات المثقفين ودعيت عدة مرات إلى ندوات للحوار حول مضمون هذا الكتاب وأهمية ما يحويه من معلومات بدت جديدة تماماً لجمهور القراء والمثقفين خصوصاً ما يتعلق بمجلة الكاتب المصرى التى كان يرأسها دكتور طه حسين وصدرت عام ١٩٤٥ بتمويل أسرة هرارى اليهودية الموالية للصهيونية وقد تناولت هذه المجلة تطورات الصراع الفلسطينى - الصهيونى بصورة هامشية محدودة رغم تصاعد الأحداث فى تلك الفترة ورغم اهتمام الصحافة المصرية بفصولها الدامية.

وفى عام ١٩٨٠ وأثناء زيارة ناڤون رئيس دولة إسرائيل لمصر بدعوة من الرئيس السادات قام بزيارتى فى مكتبى بكلية الإعلام أحد موظفى رئاسة الجمهورية يطلب منى الحضور للمشاركة مع بعض المثقفين المصريين فى لقاء رئيس دولة إسرائيل.

اعتذرت وأفهمته بنبرة حادة «أننى لست من هؤلاء الذين يتعاملون مع إسرائيل وأنا ضد اتفاقية كامب ديڤيد وعضو بلجنة الدفاع عن الثقافة القومية ضد الغزو الصهيونى» حاول أن يقنعنى دون جدوى فانسحب يائساً ونظر لى وهو يغادر المكتب نظرة لم أدرك معناها إلا بعد ذلك بعام

عندمـا تم اعـتـقـالى فـى سـبـتـمـبـر ١٩٨١، قـال لى بالحـرف الواحـد «أنت أصدرت كتاباً عن الصهيونية فى مصر وثمنه غال جدّاً يا دكتوره» قلت له بعفوية: «إن ثمنه رخيص لا يزيد عن جنيه ونصف» فكرر عبارته قائلاً: «إن ثمنه غال جدّاً» حينذاك نبهتنى إحدى طالباتى من المعيدات قائلة «إنه يقصد يا دكتوره أنك سوف تدفعين ثمنه غالياً» فضحكت ساخرة. وقد تحقق ما نبهنى إليه هذا الموظف فكانت الحلقة الأولى اعتقالى ضمن ١٥٣٦ معارضاً وطردى من الجامعة فى حملة سبتمبر الشهيرة عام ١٩٨١ وقد تم اعتقالى فى مطار القاهرة يوم ٨ سبتمبر ١٩٨١ وكان بصحبتى نجلى هشام طه وكنت عائدة من مؤتمر دولى عقدته الأمم المتحدة فى برلين عن «مناهضة العنصرية فى جنوب إفريقيا وإسرائيل».

أمضيت مائة يوم فى سجن النساء بالقناطر مع نخبة متميزة من المثقفات المصريات تتصدرهن أستاذتى وصديقتى الراحلة د لطيفة الزيات ود. أمينة رشيد ود. نوال السعداوى والكاتبة صافيناز كاظم وكان يضمنا مع ٥ فتيات محجبات عنبر كان مخصصاً للمتسولات وكان يفصلنا عن باقى أجزاء السجن بوابتان من الحديد والأسلاك وكنا نذهب إلى المدعى الاشتراكى للتحقيق معنا بمعدل مرة أسبوعيّاً وقد نجحنا فى تحويل العنبر إلى خلية تنبض بالنشاط الثقافى والإنسانى ومحو أمية بعض المحجبات.

وكانت التهمة الموجهة لنا فى البداية مشاركتنا فى أنشطة أدت إلى إثارة الفتنة الطائفية. وكان أسوأ ما فى هذه التجربة ما طالعتنا به الصحف ونحن فى السجن باتهام السادات لنا بالفتنة الطائفية نفس التهمة التى كانت ترددها الصحف الصهيونية فى الأربعينيات ضد خصومها من الوطنيين المصريين. والواقع أن السلطة السياسية الساداتية قد تخبطت ولم تستطع تحديد التهم الموجهة لنا فبدأت باتهامنا بالفتنة الطائفية ثم حولتها إلى تهمة العمل على قلب نظام الحكم وأخيراً وجهوا

لنا تهمة التخابر مع دولة أجنبية ويرجع تخبط السلطة إلى حرصها على إخفاء التهمة الحقيقية وهى معارضتنا لاتفاقية الصلح مع إسرائيل المعروفة باتفاقية كامب ديفيد.

وانتهت تجربة السجن باغتيال السادات فى ٦ أكتوبر ١٩٨١ ثم جاء حسنى مبارك الذى بادر بإطلاق سراحنا وإعادتنا إلى الجامعة فى ١٩٨١/١٢/١٢ وكانت الحلقة الثانية بعد خروجى من السجن وقد جاء على شكل هجوم على الكتاب فى إطار محاولة لتشويه سمعتى العلمية من خلال مقال نشرته جريدة الشرق الأوسط السعودية الصادرة فى لندن بتوجيه الاتهام لى بوجود تشابه بين كتابى «الصحافة الصهيونية فى مصر» ورسالة سهام العشرى «صحافة اليهود فى مصر» ثم نقلت جريدة الجمهورية المقال فى إطار استعداء السلطات الجامعية علىّ.

ورغم عدم اهتمام القيادات الجامعية عادة بكثير من المقالات المليئة بالنقد الموثق بالأدلة والأسانيد ضد السلبيات القائمة فى الجامعات المصرية إلا أن رئيس جامعة القاهرة حينذاك د. حسن حمدى أبدى اهتماماً غير مسبوق بما نشر عنى وأمر على الفور بتقديمى إلى مجلس تأديب استمر ثلاث سنوات منعت خلالها من السفر للخارج وحرمت من المشاركة فى المؤتمرات الدولية وعطلت ترقيتى إلى درجة أستاذ وأهم ما فى هذه التجربة ذلك التضامن الرائع الذى لقيته من زملائى الأجلاء بجامعة القاهرة الذين اجتمعوا بنادى أعضاء هيئة التدريس وكتبوا مذكرة وقع عليها ٤٠ أستاذاً من مختلف كليات الجامعة حذروا فيها رئيس الجامعة من الاستمرار فى محاكمتى بسبب كتابى عن الصحافة الصهيونية لأن ذلك يحمل شبهة الخضوع للتيارات الموالية لإسرائيل خصوصاً وأننى من المعارضين لاتفاقية كامب ديفيد وقد تم اعتقالى بسبب ذلك.

غير أن رئيس الجامعة لم يستجب لهذه المذكرة واستمر مثولى مرة كل شهر أمام مجلس التأديب الذى كان يعقد بكلية الحقوق وهنا يجدر بى أن أذكر بكل الامتنان المواقف الجديرة بالاحترام من جانب أساتذة كلية الحقوق وأذكر منهم على وجه الخصوص الدكتور مأمون سلامة أستاذ القانون الجنائى ورئيس جامعة القاهرة السابق ود. فتحى سرور عميد كلية الحقوق آنذاك ود. عاطف البنا الذين ساندونى ووضعوا لى خطة الدفاع لاقتناعهم ببراءتى.

ولا شك أن مساندة أساتذتى الأجلاءالراحلين د. محمد أنيس وخليل صابات وأحمد حسين الصاوى ود. فؤاد زكريا الذين قدموا مذكرات أكاديمية كان لها أعظم الأثر فى إثبات براءتى.

وقد تطوع بعض كبار المحامين وأذكر منهم نبيل الهلالى وعصمت سيف الدولة وفريد عبدالكريم وعلى الأخص د. محمد عصفور الذى كان يداوم على حضور مجالس التأديب وتقديم المذكرات القانونية لتبرئتى.

وفى ذات الوقت قمت برفع عدة قضايا ضد رئيس الجامعة لإلغاء قرار منعى من السفر وتعمد إطالة محاكمتى وأذكر أن الرابطة الدولية للإعلام برئاسة البروفيسور البريطانى جيمس هالوران كانت قد انتخبتنى غيابيّاً عام ١٩٨٤ لعضوية المجلس التنفيذى للرابطة لتمثيل العالم العربى وإفريقيا وأرسل البروفيسور هالوران برقية إلى رئيس جامعة القاهرة يحثه على ضرورة السماح لى بالسفر للمشاركة فى اجتماعات الرابطة خصوصاً وأن حرية السفر والتنقل حق دستورى للأفراد ولكنه لم يستجب رغم الحكم الصادر من مجلس الدولة لصالحى.

وأخيراً انتهت كل هذه الأزمات بتبرئتى علميّاً من اللجنة التى شكلتها الجامعة وكان من أبرز أعضائها المرحوم أبو الوفا التفتازانى نائب رئيس

الجامعة للدراسات العليا والبحوث ود. مأمون سلامة وأحد مستشارى مجلس الدولة. كما كسبت كل القضايا واستعدت حقى فى السفر والترقية.

لقد دفعت ثمن هذا الكتاب غالياً كما قال موظف الرئاسة ومندوب الرئيس الإسرائيلى نافون ولكن أهم ما فى هذه التجربة أننى أعاود نشر هذا الكتاب بعد ٢٣ عاماً وقد ازددت خبرة ونضجاً ومعرفة بالأعداء التاريخيين والمستمرين للوطن العربى بكافة أجياله وأعنى بهم الحركة الصهيونية والموالين لها والمروجين لأهدافها وأطماعها التوسعية وأرى أن واجبى الأول هو أن أنقل هذا الوعى وهذه الخبرة إلى الأجيال الجديدة خصوصاً وأن الوعى بالصهيونية وتاريخها أصبح فرض عين وليس فرض كفاية أقول هذا فى ضوء الدروس التى استلهمتها أولاً من واقع تجربتى المعاشة والزاخرة بشتى صور الضغوط والافتراءات وأشكال الحصار التى لقيتها داخل وطنى والتهديدات التى تلقيتها من الصهاينة وقدمتها لأجهزة الأمن المصرية لحمايتى ولعل أبرزها التهديد المكتوب باللغة الإنجليزية الذى تلقيته عدة مرات من جماعة كاهانا كاخ الصهيونية يحذروننى من أنه «إذا لم تتوقفى عن الإساءة إلى الصهيونية سوف نخرسك إلى الأبد» وثانياً الخبرات التى وعيتها جيداً من درستى للصهيونية وأساليبها فى تشويه سمعة الذين يقومون بفضح أهدافها وقد استلهمت الدرس الأول من هذه الدراسة التى كشفت لى بصورة جلية كيف أن الصحف الصهيونية فى مصر كانت تحارب الصحف الوطنية المعادية للصهيونية بشن هجوم مكثف مستخدمة أحط الأساليب والتهم الأخلاقية بل واستعداء السلطات ضدهم متهمة إياهم بإثارة الفتنة الطائفية وتمزيق الوحدة اوطنية والإضرار بالقضية المصرية وهى نفس التهم التى واجهونا بها لدى لمدعى الاشتراكى عندما قام السادات باعتقالنا لمعارضتنا اتفاقية الصلح مع إسرائيل.

ومما يثير الدهشة أن صحيفة الشمس الصهيونية كانت قد طالبت

عام ١٩٤٦ باستحداث مادة جديدة فى التشريع المصرى تمنع التحريض حرصاً على صيانة الوحدة الوطنية وقد استجاب الرئيس السادات بعد ثلاثين عاماً لمطلب هذه الصحيفة الصهيونية عندما أصدر قانون حماية الوحدة الوطنية من الفتنة الطائفية ضمن القوانين سيئة السمعة التى صدرت فى ذلك الوقت وكانت الصحافة الصهيونية تهدد خصوم الصهيونية بكلمة سعد زغلول الخالدة «إن الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها» وذلك لتحذير خصومها من التمادى فى افتراءاتهم ضد الصهيونية على حد قولها ـ وعلى المستوى الدولى تبرز أمامنا العديد من الأمثلة لعل أكثرها سطوعاً ما قامت به الدوائر الصهيونية ضد المفكر الفرنسى روجيه جارودى عقاباً له على كتاباته عن الأساطير الصهيونية.

وقد اتبعت الصهيونية العالمية نفس الأسلوب مع كورت فالدهايم السكرتير السابق للأمم المتحدة عندما ألصقت به تهمة التعامل مع النازية أثناء الحرب العالمية الثانية مما قضى على مستقبله السياسى فى بلده «النمسا» وذلك عقاباً له على صدور قرار مساواة الصهيونية بالعنصرية عام ١٩٧٥ أثناء توليه منصب سكرتير عام الأمم المتحدة وهى لا تتوانى عن استخدام كافة الأساليب اللا أخلاقية لمحاربة خصومها والانتقام منهم سواء بصورة مباشرة أو من خلال الإيعاز لعملائها وحلفائها للقيام بالانتقام والتشويه.

يمكن الاستشهاد بالعديد من الأمثلة سواء من واقع التجربة الصهيونية فى مصر أو من داخل إسرائيل ذاتها. وبالنسبة لمصر كانت هناك صحف يهودية غير صهيونية مثل صحف آل مزراحى (التسعيرة) «١٩٤٤» والمصباح «١٩٤٦»، الصراحة «١٩٥٠» وعندما أدانت صحيفة التسعيرة الأعمال الإرهابية للعصابات الصهيونية فى فلسطين وأدانت اشتراك اليهود المصريين فى خدمة الصهيونية وخصوصاً الدور الذى قام

به ليون كاسترو رئيس تحرير صحيفة لاليبرتيه لسان حال حزب الوفد فى تحويل المحافل اليهودية إلى منابر للدعوة الصهيونية وقد آجريت حينذاك على تغيير موقفها خضوعاً للضغوط التى تعرضت لها جانب كبار رجال الطائفة اليهودية. وهناك مثل آخر يتجلى فى الفزع الذى آصيبت به الدوائر الصهيونية فى مصر عند ظهور «الرابطة الإسرائيلية لمكافحة الصهيونية» عام ١٩٤٧ من اليهود اليساريين والتى طرحت تصورها لحل المشكلة اليهودية بضرورة سعى اليهود للمشاركة فى الحياة القومية للبلاد والدول التى يعيشون فيها ورفضت الرابطة سياسة الهجرة اليهودية إلى فلسطين على آساس أنها سوف تؤدى إلى حرب أهلية فى فلسطين كما آنها تتعارض مع الأغراض الإنسانية التى تدعيها الحركة الصهيونية. وقد نجح الصهاينة فى مصر فى استصدار قرار من وزير الداخلية بحل الرابطة بحجة المحافظة على الأمن العام وقامت السلطات باعتقال الذين وقعوا بيان الرابطة.

اما أحدث الأمثلة فهو يأتى من داخل إسرائيل ويتمثل فى قضية البروفيسور إيلان بابيه التى تعود لعدة سنوات عندما قدم بابيه دعمه لباحث اسمه تيودور كاتز طالب الماجستير لذى قدم رسالة عن الملابسات التاريخية التى آحاطت بمذبحة بلدة «الطنطورة» التى ارتكبها الجنود الصهاينة وقتل فيها المئات من الفلسطينيين من أهالى البلدة عام ١٩٤٨ وقد رفضت إدارة الجامعة تسجيل الرسالة وكان لابد من تصفية الحساب مع بابيه نفسه فى الوقت المناسب الذى سرعان ما حل بمجىء اليمين الإسرائيلى المتطرف للسلطة وخيمت سحب الانتقام عى المجتمع ففتحت الجامعة الدفاتر القديمة وتمت محاكمة بابيه ولم يقتصر الأمر على ذلك بل استمرت مطاردته كما جاء فى رسالة بثها على الإنترنت آشار فيها إنه كان يعد لتدريس مقرر عن «النكبة» فى العام التالى ولم تجد الجامعة وسيلة لإيقافه

سوى طرده بإجراءات مزعومة فى محاكمة صدر فيها الحكم بالإدانة مقدماً وينبهنا بابيه فى رسالته إلى المناخ السائد الذى يحاصر المراكز والمؤسسات الأكاديمية فى إسرائيل خصوصاً بعد أن انحاز الأساتذة بالإجماع إلى موقف الحكومة ولم يتصدوا لعدوانها على الحريات الأكاديمية.

ويرى بابيه أن ما يحدث الآن هو مجرد بداية

هذه قصة الكتاب أما الكتاب ذاته فهو لا يقتصر على دراسة الصحافة الناطقة باسم الحركة الصهيونية فى مصر ولكن يركز على رصد وتتبع نشأة وتطور الصحافة اليهودية فى مصر وبدء تحولها من مجرد صوت للتعبير عن أفكار ومصالح الطائفة اليهودية فى مصر إلى أداة سياسية للدعاية للحركة الصهيونية وإنشاء الوطن القومى اليهودى فى فلسطين.

وقد حرصت فى هذه الدراسة على التمييز بين الصحف الصهيونية والصحف التى أصدرها بعض اليهود المصريين ولم تكن تحمل شبهة الدعاية للحركة الصهيونية خصوصاً تلك الصحف التى صدرت قبل عقد المؤتمر الصهيونى الأول عام ١٨٩٧ إلا أن الصحف التى أصدرتها الطائفة اليهودية بمصر كانت تبدى تعاطفاً خفيّاً مع الاتجاهات الصهيونية ولكنها كانت تحاول أن تبدو بمظهر الملتزم بمصالح الطائفة من الناحية الدينية مثل صحيفة الاتحاد الإسرائيلى التى لم تفلح فى إخفاء تعاطفها مع الحركة الصهيونية وكشفت عن حقيقة انتمائها عندما أثيرت للرد على صحيفة الأهرام مؤكدة أن القرائين اليهود يناصرون الصهيونية ويوافقون على مخططاتها وقد كتبوا عن ذلك بصورة رسمية. ويلاحظ أن الدعاية الصهيونية فى مصر اعتمدت فى بداية القرن على الصحافة المصرية حتى عام ١٩٢٠ الذى شهد صدور صحيفة إسرائيل باعتبارها أول صوت إعلامى صهيونى باللغة العربية وكانت قد سبقتها المجلة الصهيونية التى

obeikandl.com

صدرت باللغة الفرنسية كلسان ناطق باسم المنظمة الصهيونية العالمية فى مصر برئاسة ليون كاسترو. وعندما استكملت الحركة الصهيونية مقومات وجودها داخل المجتمع المصرى والتى تمثلت فى وجود تنظيمات ونوادٍ ثقافية ورياضية وقاعدة عريضة من المساندة المصرية واليهودية أصبحت لها صحفها المستقلة الناطقة باسمها.

وقد تباينت الأدوار وتعددت المسئوليات الدعائية واختلفت اتجاهات بعض الصحف ومواقفها من أطراف الصراع ولكنها اتفقت جميعها على خدمة الأهداف الاستراتيجية للصهيونية بجميع الأساليب وكان اختلافها وتباينها فى كثير من المراحل لصالح الحركة الصهيونية أكثر مما لو كانت متطابقة معها فى النغمة والمضمون.

ولقد حاولت الحركة الصهيونية تطويع أدواتها الدعائية طبقاً لطبيعة المراحل المختلفة لتأسيس الوطن القومى لليهود فى فلسطين. ففى العشرينيات كان من الخطورة بالنسبة للحركة الصهيونية أن تفصح عن استراتيجيتها من خلال الصحف لذلك لجأت إلى أساليب دعائية جمعت بين الشعور الحذر ومحاولة التخفى وراء عدة أقنعة مثل إصدار صحف باللغة الفرنسية مثل «الفجر والمجلة الصهيونية وإسرائيل» أو التخفى وراء الواجهة الدينية «مجلة الاتحاد الإسرائيلى» ولذلك تدرجت فى أساليبها الدعائية بحيث كانت تتسق مع حجم الإنجاز الصهيونى الذى كان يتم على الأراضى الفلسطينية.

ففى العشرينيات صدرت إسرائيل «١٩٢٥» ثم صدرت الشمس «١٩٤٣» وعندما وصلت الهجرة اليهودية إلى فلسطين إلى انحد الذى يمثل سنداً فعليّاً للحركة الصهيونية وتجسيداً ماديّاً لوعد بلفور اختلفت أساليب الدعاية الصهيونية كمّاً ونوعاً.

ففى الأربعينيات عندما أصبح تحقيق الوطن القومى لليهود فى فلسطين قاب قوسين أو أدنى وانكشف تماماً الخطر الصهيونى أمام أعين الرأى العام العربى والمصرى من خلال الصدامات الدامية التى وقعت بين الحركة الوطنية الفلسطينية فى مواجهة الحركة الصهيونية المدعومة بالمساندة البريطانية حينذاك أصبح لزاماً على الحركة الصهيونية أن تعيد النظر فى أساليبها الدعائية فلم تقدم على إصدار صحف صهيونية جديدة ولكن عوضاً عن ذلك فوجئ الرأى العام المصرى بأسلوب دعائى صهيونى جديد تمثل فى إصدار مجلة مصرية ذات طابع ثقافى ضمت نخبة من كبار المثقفين المصريين بتمويل يهودى صهيونى وكانت تحمل واجهة ليبرالية حضارية لا تحتمل إثارة الشكوك حول انتمائها أو هويتها الحقيقية تلك الصحيفة هى الكاتب المصرى التى صدرت فى أكتوبر ١٩٤٥ وكان يرأس تحريرها د. طه حسين وقد عالجت أحداث الصراع الفلسطينى الصهيونى فى ذروة تصاعدها كحدث هامشى كما أنها أبدت اهتماماً ملحوظاً بإبراز إنجازات اليهود وإسهاماتهم فى الثقافة والأدب العربى.

هذا فى الوقت الذى كانت الصحف المصرية بكافة اتجاهاتها تزخر بالمقالات والافتتاحيات والمتابعات الخبرية لأحداث الصراع الفلسطينى اليهودى وعندما كشفت عن هذا الجانب فى الطبعة الأولى للكاتب ووجهت بعاصفة حادة من النقد من جانب كثير من المثقفين المصريين الذى أصيبوا بصدمة بسبب الخلط وسوء الفهم حيث تعاملوا مع القضية بمنظور أحادى يركز على استنكار واستبعاد تورط عميد الأدب العربى طه حسين مع بعض اليهود المصريين الموالين للصهيونية وأغفلوا الجانب الأهم من القضية الذى ينبهنا إلى ضرورة فهم طبيعة الاستراتيجية الصهيونية التى استثمرت كافة القوى لخدمة أهدافها التوسعية مسلحة بدرجة عالية من التنظيم والنفس الطويل الذى تميزت به الحركة الصهيونية والذى مارسته

بخبث ودهاء وقدرة بارعة على الخداع طوال مسيرتها منذ مؤتمر بال عام ١٨٩٧ وفى إطار الالتزام بهذه الاستراتيجية تمكنت الحركة الصهيونية من اختراق معظم التيارات الفكرية والسياسية فى مصر ماعدا التيارات القومية والإسلامية.

وتحت غطاء حرية الفكر والثقافة وضرورة نشر الفكر العقلانى التنويرى نجحت الصهيونية فى اختراق نخبة المثقفين الليبراليين بزعامة طه حسين كما نجحت فى اختراق الماركسيين المصريين من خلال إقناعهم بأولوية الصراع الطبقى وتهميش الصراع القومى وأن السبيل الوحيد للنهوض بفلسطين يكمن فى وحدة الصبقة العاملة اليهودية والعربية وهكذا نجحت الصهيونية فى استقطاب أهم التيارات الفكرية والسياسية الفاعلة على الساحة المصرية وتمكنت من تحييد مواقفهم إزاء الصراع الفلسطينى الصهيونى حتى تم لها تحقيق حلمها التوسعى وإقامة دولتها على الأرض الفلسطينية المغتصبة.

وإذا كنت قد أهديت الطبعة الأولى إلى نجلى هشام ممدوح طه وجيله وكان آنذاك صبياً وأصبح الآن صحفياً بجريدة الأهرام فإننى أهدى الطبعة الثانية إلى أحفادى أحمد هشام وعمر هشام وجيلهما أملاً فى أن يواصلا مسيرة الوعى بحقيقة الصهيونية وأهدافها التوسعية وأن يترجما هذا الوعى إلى فعل جماعى داخل الوطن وخارجه إلى أن يتوج النضال البطولى للشعب الفلسطينى باسترداد حقوقه الوطنية المشروعة على كامل ترابه.

أ.د. عواطف عبدالرحمن

البحر الأعظم - الجيزة

openkandi.com

تصدير
الصحافة الصهيونية
في مصر

عندما صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب عام ١٩٨٠، كانت مصر مقبلة بشدة على عصر جديد يحتفل بالصداقة الجديدة مع الولايات المتحدة التى توسطت بين مصر وإسرائيل خاصة بعد زيارة الرئيس السادات للقدس، وتمكنت من عقد اتفاقية السلام بين البلدين، فكانت هذه الاتفاقية بمثابة زواج مصرى جديد، بل زواج مزدوج استغنت به مصر عن الاتحاد السوفيتى والعالم العربى معاً، بكل من إسرائيل والولايات المتحدة. فبدأت الفتنة الكبرى التى كانت أقصى صورها هذا الشتات المصرى العربى ونقل الجامعة من مقرها الدائم فى القاهرة إلى مقر مؤقت فى تونس. وهكذا صدرت هذه الطبعة الأولى فى ظروف عربية ومصرية بالغة الصعوبة ونادرة الحدوث، فكان ظهورها تسجيلاً وتأصيلاً لحقيقة هامة وهى أن مصر، قلب العالم العربى، كانت مسرحاً لحركة صحفية صهيونية وأوضحت أن المجتمع المصرى لم يكن يدرك خطورة الحركة الصهيونية حتى قيام إسرائيل عام ١٩٤٨ حتى إن الطبقة السياسية والنخبة المثقفة كانت تبدى تعاطفاً مع الحركة خاصة أثناء الحرب العالمية الثانية عندما كانت تتوارد أنباء معسكرات الغاز وإبادة اليهود فيها على يد سلطات ألمانيا النازية.

والحق أن علاقتى بالأستاذة الدكتورة عواطف عبدالرحمن قد بدأت يوم احتفلت بهذه الدراسة وأنا أتابع فى صيف ١٩٨١ سلسلة المقالات التى

كان ينشرها أستاذنا النابه المرحوم المفكر القومى الدكتور حامد عبدالله ربيع طيب الله ثراه، والذى راح ـ فيما يبدو نتيجة إحدى مؤامرات الموساد ضد النابهين فى المجتمع المصرى هذه المقالات نشرت فى مجلة الأهرم الاقتصادى تحت عنوان ، مؤامرة على عقل مصر ، وكشف فيها عن مؤامرة تفتيت المجتمعات العربية، وأن السلام المصرى الإسرائيلى هو الغطاء النموذجى للعمل على تنفيذ هذه المبادرة. رغم إعجابى بالكتاب تأخر إعجابى بنضال مؤلفته حتى التقينا وجهاً لوجه بعد صدور الطبعة الأولى بربع قرن تقريباً وبالتحديد عندما التقينا على منصة واحدة فى المؤتمر السنوى العلمى لكلية الاعلام جامعة لقاهرة عام ٢٠٠٢ وكنت مساهماً بدراسة حول دور الإعلام الصهيونى فى تشكل الدبلوماسية الأمريكية فى فلسطين، فأدركت أننا، المؤلفة وأنا قد التقينا على قضية واحدة وهى الدفاع عن مصر ضد كل استهداف من جانب الحركة الصهيونية، وطبيعى أن هذه المهمة التى يتصدى لحملها أجيال من الوطنيين المصريين على اختلاف طوائفهم السياسية، تنوء بحملها المناصب الحساسة فى وقت ترصد فيه أقلام المفكرين المصريين من دوائر كثيرة، فوجدت فى فكر المؤلفة سندا ورفيقا.

لكل ذلك أسعدنى أن تصدر الطبعة الثانية من هذا الكتاب عام ٢٠٠٤ وتضاعفت سعادتى عندما تفضلت الدكتورة عواطف بالسماح لى بتسطير هذه الكلمات فى صدر هذه الطبعة إيماناً بوحدة الموقف والقضية فى كتائب الوطنية المصرية.

ولكن الطبعة الجديدة تصدر ومصر والعالم العربى يشهدان أكثر الهجمات الصهيونية جسارة وتوحشاً ترتبت عليها مواجهة شرسة للانتفاضة الفلسطينية وارتكاب سلسلة المجازر اليومية على مرأى ومسمع من العالم كله بعد أن وثقت إسرائيل علاقتها وتحالفها مع الولايات

المتحدة، بل تمكنت من تخدير العالم العربى وتحييده فانفردت بالشعب الفلسطينى بكل ما تملكه من قدرات عسكرية وغل نفسى ورغبة جامحة فى الإبادة والانتقام وكأن مفتاح هذا الموقف العربى هو ذلك المدخل الخطير مع مصر منذ عام ١٩٧٩ وفق مخطط أمريكى رعته الإدارات المتعاقبة. وإذا كان الإعلام الصهيونى فى مصر كما سجلته الدراسة حتى منتصف الخمسينيات قد لعب دوراً فى تضليل الرأى العام المصرى قبل أن يطلع الجمهور المصرى على خبايا المشروع الصهيونى واستهدافه مصر بشكل رئيسى، فإن الثابت أن الإعلام خاصة بعد تطور تقنياته والسيطرة الإعلامية العالمية للحركة الصهيونية تعززه الجهود الثقافية والعلمية فى الإحاطة بمصر قلب العالم العربى ورأسه، مثلما تغلغلت فى العالم العربى والإسلامى، ولعل صدور هذه الطبعة مناسبة للتنبيه إلى محاولات اختراق المجتمع المصرى من كل جانب والنيل من مصر بكل طريق وتطويق مصر من كل صوب، فقد أصبحت مصر محاطة بإسرائيل بكل ترساناتها النووية والتقليدية من الشرق، وليبيا التى حولت مؤشر مصالحها تماماً نحو الولايات المتحدة بما ينطوى ـ مع كل حسن النوايا ـ على مخاطر محققة لمصر، والسودان الذى يمر بمخاض التجزئة والتقسيم، وأخيراً الموقف المتحدى الجديد لدول حوض النيل ضد المصالح المائية المصرية.

يتصل بهذه المخاطر ذلك الارتباط الوثيق بين ضعف النظام السياسى المصرى وعجزه عن الوفاء بطموحات الشعب المصرى والدفاع عن مصالحه ضد محاولات الاختراق الصهيونية، مما أنتج ظواهر بالغة الخطر فى مقدمتها إغواء آلاف الشباب فى مصر للزواج من إسرائيليات وواكب ذلك السماح بتجنس زوج المواطنة الإسرائيلية بالجنسية الإسرائيلية حتى لو لم يكن يهودياً مما يعنى أن آلافاً من شباب مصر الذين دفعهم اليأس من مستقبل مضمون فى مصر فضلاً عن إغواء متعمد من جانب الموساد قد

أصبحوا يجمعون بين الجنسية الإسرائيلية والجنسية المصرية وأصبح بوسع زوجاتهم الإسرائيليات الجمع بين الجنسيتين، كما يجمع الأبناء بين الجنسيتين، وهو ما يعد ثغرة أمنية خطيرة فى مستقبل المجتمع المصرى خاصة عندما يتزايد عددهم ويضعف انتماؤهم ويتطلب ذلك معالجة قانونية وسياسية عاجلة وعدم الاستسلام للضغوط الخارجية حتى لا يستفحل هذا الخطر خاصة وإن الموساد قد استفادت كثيراً من مرحلة السلام الرسمى مع مصر حتى تتمكن من الاختراق القانونى لها ولمجتمعها.

ويجب ألا يغيب عن البال أن إسرائيل قد أعلنت رسميّاً عام ١٩٩٧ بمناسبة مرور مائة عام على المؤتمر الصهيونى الأول فى بازل فى القرن التاسع عشر عن نيتها فى تهجير ثلاثة ملايين يهودى بحلول عام ٢٠٢٠ حتى يصبح عدد سكانها عشرة ملايين لكى تتغلب على الأقلية العربية داخل أراضيها.

وطبيعى أن إسرائيل المحدودة جغرافيّاً بعشرات الآلاف من الأميال ٢٢ ألف كم٢، حيث تنعدم فيها الثروات الطبيعية تخطط للتمدد فى الدول المجاورة وأهمها مصر وعينها على سيناء، وهو ما لم يخفه الجنرال شارون فى مذكراته التى قدمنا دراسة لها صدرت بالقاهرة عام ٢٠٠٣، ومحصلة ذلك أن الخطر على مصر ومجتمعها يجعل لمثل هذا النوع من الدراسات الأهمية الكبرى، ويجعل لاتفاق فنون الإعلام الحديثة الزاد الأساسى لحماية مصر والمنطقة العربية واستثمار الاتجاه الجديد فى صفوف اليهود الذى انعكس فى مؤتمر لندن يوم ٢٠٠٤/٣/١٥ والذى ميز تماماً بين اليهودية والصهيونية، وهو نفس التمييز الذى حرصت الدراسة المستنيرة على إبرازه.

ولعل هذه المناسبة فرصة سانحة لتعاون أساتذة الإعلام فى العالم

العربى لكى يتوفروا على تدريس طرق الإعلام الصهيونى وفنونه وصياغة نظرية عربية مقابلة بحيث تحافظ على الوعى العربى لأجيال الشباب وتخرج أجيالاً من المتخصصين فى هذا الفن.

والله غالب على أمره

بقلم

السفير الدكتور/ عبدالله الأشعل

مساعد وزير الخارجية السابق

أستاذ القانون والعلاقات الدولية بالجامعات المصرية

obeikandl.com

مقدمة الطبعة الأولى

تتميز هذه الدراسة بعدة سمات يمكن تلخيصها على النحو التالى:

أولاً: عدم التقيد بإطار الكتابات العربية التقليدية عن الحركة الصهيونية والنشاط الصهيونى فى مصر. وذلك رغم الحرص على الاستفادة بما جاء فى هذه الكتابات من معلومات أساسية لا يمكن تجاهلها أو التقليل من شأنها.

ثانياً: الاعتماد الاساسى على المصادر الأولى وهى الصحف اليهودية والصهيونية التى صدرت منذ نهاية القرن التاسع عشر وحتى بداية الخمسينيات من القرن العشرين.

ثالثاً: محاولة الاستفادة بآراء بعض اليهود المصريين لذين عاصروا فترة الأربعينيات بأكملها، وقد أسهم بعضهم فى مقاومة النفوذ الصهيونى فى مصر وتعرضوا للمطاردة والاعتقال من جانب الحكومات المصرية والعناصر الصهيونية فى مصر، كما تعرضوا لسوء الفهم والجفاء من جانب أبناء طائفتهم من يهود مصر. والواقع أنهم لم يبخلوا بتزويدى بجميع المعلومات والوثائق الهامة التى كانوا يحتفظون بها من أجل إثراء هذا البحث والحرص على خروجه بالصورة المطلوبة.

رابعاً: الحرص على كشف موقف القوى السياسية المصرية والمثقفين المصريين من حركة الصهيونية والنشاط الدعائى الصهيونى فى مصر مع مراعاة البعد التاريخى فى الحكم على مواقف ساسة مصر ومثقفيها من الصهيونية، فلم أنجرف إلى تفسير بدايات الاحتكاك بين هؤلاء المثقفين

والساسة المصريين وبين الصهيونية بأثر رجعى، بل راعيت أن الأبعاد الكاملة للصهيونية من حيث ارتباطها بالاستعمار العالمى لم تتضح إلا فى ضوء المتغيرات التى سادت العالم بعد الحرب العالمية الثانية، أما فى البداية فقد كان من السهل تأكيد البعد الإنسانى للصهيونية وخداع المثقفين به، ومن الراجح أن الصهيونية كانت فى نظر كثير من هؤلاء المثقفين حركة ذات دلالة دينية فى الأساس ولذلك تسامح معها الليبراليون ولم يقف ضدها بصلابة إلا أصحاب الاتجاهات الإسلامية والعروبية أما فى الفترة التالية للحرب العالمية الثانية فقد ظهرت أبعادها السياسية والاقتصادية بوضوح، ما ترتب عليه تغير موقف المثقفين والساسة المصريين منها.

خامساً: ولذلك وبناء على ما سبق تهدف هذه الدراسة إلى الإجابة على بعض الأسئلة التى يمكن أن تثار حول مسألتين أساسيتين.

ـ **أولاهما**: إلى أى مدى كانت مصر مركزاً رئيسيّاً للدعاية الصهيونية خلال فترة ما بين الحربين العالميتين وأثناء الحرب العالمية الثانية وحتى قيام دولة إسرائيل فوق الأرض الفلسطينية عام ١٩٤٨ .

ـ **ثانيهما**: كشف الدوافع والملابسات التاريخية والسياسية التى أحاطت بمواقف القوى السياسية المصرية من الحركة الصهيونية وهل كان تعاطفها المرحلى مع النشاط الصهيونى فى مصر نتيجة العمى وانعدام الوعى بحقيقة الدور الصهيونى أم كانت نتيجة منطقية للتضليل الإعلامى الذى لعبته الصحافة الصهيونية بالإضافة إلى طبيعة المرحلة التاريخية التى لم تسمح بكشف الأبعاد الحقيقية للحركة الصهيونية فى ذلك الحين.

هذه الأسئلة وسواها لا يمكن الإجابة عليها إلا عن طريق تعقب الأعمال الدعائية الصهيونية فى محاولة لاكتشاف جذور الدعاية

الصهيونية من خلال الصحف التى أصدرتها فى مصر والتى كانت تهدف إلى تحقيق غايات سياسية وعسكرية غير مشروعة.

مجال الدراسة

تتضمن هذه الدراسة عرضاً تاريخيّاً شاملاً للصحف اليهودية التى صدرت بمصر منذ مؤتمر بال ١٨٩٧ حتى قيام دولة إسرائيل ١٩٤٨، وهذا الإطار العام ينطوى على تصنيفين رئيسيين:

التصنيف الأول: ويشمل الصحف ليهودية غير الصهيونية.

التصنيف الثانى: فهو يتضمن الصحف الصهيونية وهى تمثل المحور الرئيسى لهذه الدراسة، إذ حرصت على تتبع مبررات وجودها فى ضوء المعطيات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية للمجتمع المصرى فى المراحل التاريخية المختلفة التى تناولتها فترة الدراسة بالإضافة إلى اهتمامى بتحليل العلاقة الموضوعية و لذاتية للنشاط الدعائى الصهيونى المجسد فى الصحف مع أدوات الواقع السياسى والثقافى المصرى فى كل مرحلة على حدة، هذا مع التركيز على نتائج هذه العلاقة ورصدها فى مختلف القطاعات السياسية والثقافية.

وقد استلزم ذلك ضرورة القيام بقياس وتحليل اتجاهات الصحف الصهيونية إزاء قضيتين محوريتين هما

أولاً: القضية الوطنية المصرية.

ثانياً: القضية الفلسطينية.

وإذا كان المنهج التاريخى يمثل عمود هذه الدراسة فإننى قد استعنت إلى جانبه بمنهج المسح الإعلامى وخصوصاً فى مسح ودراسة الصحف الصهيونية كذلك لم يخل الأمر فى بعض الأحيان من الاستعانة بمنهج

دراسة الحالة وخصوصاً فى اختيار بعض الصحف الصهيونية والتركيز عليها دون سواها أو اختيار بعض الأحداث والوقائع المصرية أو الفلسطينية لقياس اتجاهات الصحف الصهيونية إزاءها.

هذا وقد لجأت فى جزء صغير من الدراسة إلى استخدام تحليل المضمون وذلك حرصاً للوصول إلى وصف كمى لاهتمامات الصحافة اليهودية فى مصر وذلك فى الجزء الخاص بقياس اتجاهات الصحف اليهودية نحو القضية الوطنية المصرية والشؤون المصرية ككل.

ومهما تكن النتائج التى توصلت إليها فى ضوء المعطيات المتاحة لى، فإن تحليلاتى لن تكون نهائية سواء فيما يتعلق بالمضمون المحدد للصحافة الصهيونية أو الهدف السياسى والفكرى الذى كانت تتطلع الحركة الصهيونية إلى تحقيقه من خلال صحفها فقد وضعت فى اعتبارى أن يكون هذا التحليل مؤشراً للاتجاهات ولا يتجاوز حدود الدراسة التى سبق الإشارة إليها.

وقد حاولت تجنب التعميم الذى قد يصاحب هذه المادة غير المتناسقة والتوسع فى تطبيق إطار التحليل إلى الحد الذى يؤدى إلى التعسف فى الأحكام ولذلك اعتمدت على المصادر الأولية وهى الصحف ثم الدراسات التى أجريت على هذا الموضوع ودعـ..ت هذا ببعض المقابلات الهامة مع الذين عاصروا الأحداث من اليهود المصريين وغيرهم. وأخص فى هذا الصدد الإخوة شحاتة هارون ويوسف درويش وريمون دويك وأحمد صادق سعد وأنتهز هذه الفرصة كى أوجه لكل منهم شكراً خاصّاً على الجهد المخلص الذى بذلوه معى من أجل تزويد هذه الدراسة بكل ما يلزمها من معلومات وإيضاحات ساعدتنى على إبراز المقارنات الهامة بين ما نشرته الصحف والواقع الفعلى الذى عاصروه.

وإذا كنت أتمنى أن تحظى هذه الدراسة المتواضعة باهتمام زملائى وأساتذتى وأصدقائى وطلابى فى مصر والعالم العربى، وتستثير لديهم الرغبة فى إجراء مزيد من الدراسات والبحوث حول هذه القضية الهامة وهى علاقة الصهيونية بالواقع العربى ككل والواقع المصرى على وجه الخصوص، فإننى أتمنى أن يستفيد منها على وجه الخصوص ابنى هشام طه ورفاق جيله، إليه وإليهم أهدى هذه الدراسة آملاً فى توصلهم إلى الفهم الصحيح لحقيقة الصهيونية وترجمة هذا الفهم إلى سلوك.

د. عواطف عبد الرحمن

القاهرة - أغسطس ١٩٧٩

obeikandi.com